

الدكتورة مناهل فليح باحثة في البلاغة كتاب الشريف الرضي نموذجاً

أ.د بشرى البستاني*

ملخص البحث:

تناول البحث الموسوم (الدكتورة مناهل فليح باحثة في البلاغة، كتاب الشريف الرضي نموذجاً) السيرة العلمية للباحثة مع متن تشكل من خمسة محاور هي:

- ١- المدخل وفيه عرض لمحتويات الكتاب.
- ٢- طريقة الباحثة في عرض مؤلفات الشريف البلاغية.
- ٣- طريقته في عرض المصطلح.
- ٤ - طريقته في عرض المتون التي طرحت فيها شواهد الشريف وتطبيقاته على الآيات الكريمة.
- ٥- الخلاصة وفيها سجلت أهم الملاحظات على البحث.

"Doctor Manahil Flayeh as aScholar of Arabic Rhetorics: Astudy in Her Book on AL-Sharif AL-Rathi"

Bushra AL-Bustani
Lecturer Department of Arabic
College of Arts /University of Mosul

Abstract

The research paper attempt , at re-studying the achievement of the late teacher Dr.Manahil Flayeh. The paper consists five parts:

Part one: is an Introducten to the book`s content , part two tackles the Writer`s metuud in presenting the rhetoric writing of AL-

* استاذ/ قسم اللغة العربية/ كلية الآداب.

Radhi. Her me tuvdivn reviewing the tern , her metuvd in probing deep in to AL-Radhi`s evidunces and proof s from the Quraanie utterances and prophet`s sayings are bocussedon finally , the undusion sums up the bindings.

ولدت الدكتورة مناهل فخر الدين فليح عام ١٩٣٩ في مدينة الموصل، وأكملت دراستها الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في مدارسها، ثم تخرجت من قسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة بغداد عام ١٩٦١، بعدها مارست التدريس في المرحلة الثانوية مدة أربع سنوات حصلت بعدها على إجازة دراسية تفرغت خلالها للتحضير لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب بجامعة بغداد ونالت هذه الدرجة عن رسالتها الموسومة "نصرة الثائر على المثل السائر لأبي الصفاء صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤هـ)، تحقيق وتقديم..". بأشراف الدكتور جميل سعيد، واستمرت بعدها في التدريس على الملاك الثانوي لسنتين انتقلت بعدها إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إذ قامت بالتدريس في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الموصل، وفي عام ١٩٧٣ سافرت إلى القاهرة للحصول على شهادة الدكتوراه حيث نالت الشهادة عن أطروحتها الموسومة " نشاط أأصفدي في النقد والبلاغة " بأشراف الأستاذ الدكتور محمد كامل جمعة في كلية الآداب، جامعة القاهرة، عادت بعدها للتدريس في كلية الآداب جامعة الموصل، مواصلة رحلة عملها في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا فضلا عن الإشراف على طلبة الدكتوراه والماجستير والمشاركة في المؤتمرات العلمية وإعداد البحوث، فقد أشرفت على عدد من أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير في موضوعات البلاغة والنقد والدراسات القرآنية، وشاركت في مناقشة الكثير من الرسائل والاطاريح كذلك كما كانت خبيرة علمية للعشرات من البحوث الأكاديمية في البلاغة واللغة والنقد.

تركت الدكتورة مناهل فليح رحمها الله فضلا عن جهودها في الماجستير والدكتوراه بحوثا قيمة أهمها كتابها الموسوم " الشريف الرضي بلاغيا " والذي سيكون محور هذه الدراسة كما تركت بحوثا منشورة وأخرى مقبولة للنشر اذكر منها:

- ١- التعليم في ظل دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ) منشور في مجلة آداب الرافدين /جامعة الموصل /العدد العاشر، آذار ١٩٧٩.
 - ٢- المدائح النبوية والبديع، منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد الخاص بحلول القرن الخامس عشر الهجري ١٩٨١.
 - ٣- المنخل للوزير المغربي "دراسة وتحقيق" بحث مشترك مع د. عبد العزيز ياسين، منشور في مجلة التربية والتعليم، جامعة الموصل ١٩٩٤.
 - ٤- درس البلاغي عند العلوي في الطراز، بحث مشترك مع د. دلسوز جعفر البرزنجي، منشور في مجلة آداب الرافدين.
 - ٥- التورية والاستخدام "دراسة بلاغية تحليلية، مقبول في مجلة آداب الرافدين.
 - ٦- الصورة الاستعارية في مقامات الهمداني والحري، مقبول للنشر في مجلة آداب الرافدين.
 - ٧- التشخيص والتجسيم في شعر بشارة الخوري، قيد النشر.
 - ٨- التعريض في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، بحث مشترك مع د. احمد فتحي رمضان، منشور في مجلة التربية والتعليم ١٧/١١/١٩٩٦.
- ومن أهم المؤتمرات التي شاركت في وقائعها:
- ١- المؤتمر الأول لجامعات القطر المنعقد في بغداد عام ١٩٧٣.
 - ٢- ندوة أبناء الأثير المنعقدة في جامعة الموصل بتاريخ ٢٧/٣/١٩٨٢.^(١)
- وستنضوي هذه الدراسة تحت المحاور الآتية:
- ١- المدخل وفيه عرض لمحتويات الكتاب ومقدمته.

- ٢- طريقة الباحثة في عرض مؤلفات الشريف البلاغية.
- ٣- طريقته في عرض المصطلح.
- ٤- طريقته في عرض المتن التي طرحت فيها شواهد الشريف وتطبيقاته على الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.
- ٥- الخلاصة، وفيها سجلت أهم الملاحظات على البحث.

(١)

كتاب الشريف الرضي بلاغيا (٣٥٩ - ٤٠٦هـ)، من إصدارات وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم ٣٢٤ لعام ١٩٩٠ في مئة وأربعين صفحة من الحجم الصغير.

وهذا الكتاب لم يتبن منهجية الفصول التي تتكون من مباحث ومحاور وإنما اعتمد طريقة المحاور المتسلسلة وهي ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا وفر له سمة التماسك من خلال ذكاء الباحثة العلمي وهو يدرك أهمية الموضوعات التي سيدرسها ويعرف كيف يضعها في موضعها الملائم من المعلومة التي سبقتها والمعلومة التي تليها، وهكذا نجد موضوعات الكتاب تتوالى دون أن تدرج في فهرسة خاصة بها، ولذلك حرصت هذه الدراسة على جدولتها حسب ورودها على صفحات الكتاب وكالاتي:

- | | |
|-------|---|
| ٦-٥ | ١- المقدمة |
| ٩-٧ | ٢- سيرة الرضي |
| ٢٣-١٠ | ٣- مؤلفاته البلاغية |
| ٣٦-٢٤ | ٤- أسلوبه ومذهبه البلاغي |
| ٤٠-٣٧ | ٥- دراسات الشريف الرضي وتطبيقاته البلاغية |
| | وترد تحت هذا العنوان دراسة البيان الذي يتفرع إلى: |
| ٥٢-٤١ | أ- الحقيقة والمجاز |

٦١-٥٢	ب- الاستعارة
٦٨ -٦٢	ج- المجاز المرسل
٧٧ -٦٩	د - المجاز العقلي
٨٢-٧٨	هـ- الكناية
٨٨-٨٣	و- التشبيه
١٠٣-٨٨	٦- علم المعاني ويرد في منته الإيجاز والإطناب
	٧- علم البديع وترد تحت هذا العنوان الموضوعات الآتية:
١٠٦-١٠٤	أ- المشاكلة
١١٠-١٠٧	ب- المبالغة
١٢٠-١١٠	ج- الالتفات
١٢٢-١٢١	٨- الخاتمة
١٣٥-١٢٣	٩- الهوامش
١٤٠-١٣٧	١٠- قائمة المصادر والمراجع

تكشف الباحثة في المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياره مؤكدة ان البحوث التي دارت حول الشريف الرضي قد انصب جلها على أهمية شعره وإيداعه في هذا الميدان بينما أغفلت جوانب مهمة من معرفيات هذا المبدع كونه بلاغيا ومفسرا ودارسا للحديث وذا أنشطة مهمة في اللغة والنحو وان ثراءه في هذه العلوم لا يقل عما هو عليه في الشعر مما دفعها وهي المتخصصة بالبلاغة العربية إلى كشف النقاب عن الشريف الرضي بلاغيا ثم شرحت مسيرة عملها في هذا البحث الذي تناولت فيه سيرته وكتبه البلاغية والكلام على منهجه وأسلوبه في البحث البلاغي كما عملت على الإحاطة بأرائه البلاغية واستقصاء الموضوعات التي عولجت فيها وخلصت من هذا إلى ان جهود الشريف الرضي في هذا البحث

تشكل حلقة رابطة في سلسلة تطور البلاغة العربية لا يستغني عنها دارس البلاغة والباحث فيها^(٢)

وبعد هذه المقدمة التي أوجزت فيها إيجازاً موحياً تدخل الباحثة في سيرة الرضي لتوجز كذلك، إذ تذكر باختصار نسبه الممتد إلى الإمام علي كرم الله وجهه وزمن ولادته (٣٥٩هـ) وشرف عائلته وعز والده أمير نقابة الطالبين وحب أمه السيدة فاطمة بنت الحسين للعلم. كما ذكرت حفظه القرآن الكريم ودراسته اللغوية والنحو وعلوم القرآن والحديث، وأشادت بالعصر الذي تقياً الرضي ظلله لأنه عصر ازدهار وحضارة وذكرت أهم الأدباء والعلماء والمبدعين الذين عاصروه ولم يفتها ذكر صفات الشريف التي جعلته جديراً بالمكانة التي احتلها في عصره وانتهت بذكر وفاته عام (٤٠٦هـ)^(٣).

(٢)

تحت عنوان (مؤلفاته البلاغية) نجد الباحثة توجز في أربعة أسطر مؤلفاته العامة ثم تفصل في اثره البلاغية التي هي مجال عمل البحث موحية للقارئ بطريقة مسكوت عنها بانها لم تذكر مصادرها في المقدمة لأنها ستخصص الحديث عنها في هذا المحور وتبدأ بكتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن) إذ تذكر الطبعة التي اعتمدها وهي طبعة دار احياء الكتب العربية في مصر تحقيق محمد عبد الغني حسن عام ١٩٥٥ وتقوم بتوصيف الكتاب وايجاز أهميته واصدار حكم على صحة سبقه في ميدان اشتغاله قائلة "والكتاب دراسة بيانية تطبيقية قامت على متابعة المجازات والاستعارات في كلام الله تعالى سورة سورة وأية أية على وفق ترتيبها في القرآن الكريم وهو أول كتاب كامل مستقل بذاته ألف لغرض واحد، فهو يقوم في التراث العربي الإسلامي شاهداً على ان الشريف الرضي خطأ أول خطوة في التأليف في مجازات القرآن بمعناها الاصطلاحي، ومن هنا كانت القيمة العلمية والتاريخية لهذا الكتاب"^(٤) مؤكدة حكمها باعتراف الرضي نفسه مخاطباً احد

أصحابه في سبقه إلى هذا العمل نفسه^(٥) وتعلل الباحثة سبب الاستحسان الذي ناله الكتاب بالاتي:

- ١- شرف الموضوع.
- ٢- قدم الزمان الذي أُلّف فيه الكتاب.
- ٣- سلامة المنهج القائم على استغراق كلام الله للتنبية على مواضع المجاز ونوعه دون تكرار عند ورود المجازات المتشابهة طلباً للاقتصاد، وقد تبلغ السورة مثلاً مئتين أو أكثر من الآيات فلا يخلص منها على المجاز بضعة عشرات من الآيات، أما البقية فلم يتعرض الرضي لها، وإن خلت السورة من المجاز جملة فإنه يشير إلى ذلك ويتركها^(٦).

تعهد الباحثة إلى بيان رأيها بالكتاب قائلة:

والكتاب تفرد بتفسير القرآن بيانياً واختص بمجازاته وبذلك اختلف عن كتب التفسير الأخرى التي تفسر الآيات كلها تفسيراً لغوياً، واختلف أيضاً عن كتب الإعجاز التي تناولت بلاغة القرآن وفصاحته جميعاً وقضايا إعجازه الأخرى "وتأتي بما يؤكد رأيها من أحكام الأقدمين إذ تستشهد بقول ابن خلكان الذي وصف الكتاب بأنه "نادر في بابهِ"^(٧).

وعلى هذا المنهج تطرح كتبه البلاغية الأخرى، (المجازات النبوية) و(منهج البلاغة) و(حقائق التأويل في متشابه التنزيل) إذ تبدأ بتوصيف الكتاب ورصد موضوعاته وطرق تناوله ثم تبدي رأيها بالأهمية العلمية لهذا المصدر، تقول عن كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه مختار كلام الإمام علي رضي الله عنه " وللكتاب قيمة كبيرة لما احتوى عليه من فوائد ولما تعلق به من كتب شرحته وقربته الى الدارسين وهذا ان دل على شئ فإنما يدل على حسن اختيار الرضي وقديماً قيل: اختيار الرجل قطعة من عقله"^(٨).

وإذ تنتهي الباحثة من استعراض وتوصيف مصادرها البلاغية التي ألفها الرضي تقف وقفة عامة مبدية رأيها فيما بين يديها ملخصة هذا الرأي بالاتي^(٩):

١- ان هذه الكتب هي أدلة نقلية ومعالم شاخصة - في محجة الشريف الرضي البلاغية.

٢- ان آثاره الأدبية والإبداعية دليل مهم آخر على تأصيل سمته البلاغية، وبأسلوب أدبي رصين تشرح الباحثة وتعلل أسباب بلاغة الرضي ورقي أساليبه، مثيرة سؤالاً تفتح به أفق القراءة وتحرض المتلقي على البحث عن الجواب مؤيداً ومخالفاً: ولكن الى اية غاية اتجه الرضي ببلاغته؟ الغاية الدينية أم الغاية الأدبية أم الغاية التعليمية؟ لكن الباحثة ما تلبث ان تجيب عن السؤال بان الغاية الدينية هي التي دفعت الرضي الى وضع بحوثه، مستعينة بتأييد علماء آخرين أمثال عمرو بن عبيد (١٤٤هـ) وأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ).. الذين اكدوا اهمية علم البلاغة في معرفة اعجاز القرآن.

ثم توسع الباحثة دائرة بحثها إذ تلجأ الى حوار الآراء من خلال إشارة موضوع مهم كان قد اختلف فيه العلماء من قبل وهو وجود المجاز في القرآن، وربما أراد الرضي ان يقتفي اثر الجاحظ (٢٥٥هـ) وابن قتيبة (٢٧٦هـ) في العمل على إثبات ظاهرة المجاز لمن أنكرها في القرآن الكريم كالظاهرية وغيرهم ممن يأخذون المعنى من ظاهر التعبير ولأتأول فيه وأظن الباحثة تعطي أهمية كبيرة لموضوع مجاز القرآن عند الجاحظ وابن قتيبة لتعلل اهتمام الرضي بهذا الموضوع والتأليف فيه تأليفاً مستقلاً من جهة ومتخصصاً من جهة أخرى.

(٣)

تعتمد الباحثة تحت عنوان أسلوبه ومذهبه البلاغي الى وصف الأسلوب الذي تناول به الرضي موضوعاته بشكل عام قبل الدخول الى خصوصية كل مصطلح على حدة فهي تؤكد أصالة الرضي في إبداعه وفي بحوثه إذ تربط بين قضيتين

مهمتين هما القدرة الإبداعية والمقدرة العلمية وهي محقة في ذلك فالشعراء أو المبدعون باحثين ونقادا يختلفون عن غيرهم من الباحثين الذين يفتقدون السمة الإبداعية كونهم يمتلكون لغة مخضبة بوهج الإبداع وسحر الانتقاء والمعرفة بإسرار اللغة وتصف أسلوبه بصياغات أدبية عذبة متماسكة تميزت بها لغتها على طول البحث فهي تكشف عن قدرته على الجمع بين قوة الأعراب وليونة الحضر الذين أقام بينهم. وعن صفة التجدد والحياة في نتاجه الأدبي، مؤكدة ان أسلوبه الأدبي هو الذي وجه بلاغته نحو المذهب الأدبي الذي هو مذهب الجاحظ وابن المعتز وابي هلال العسكري وابن الأثير وغيرهم وتصف عمل هؤلاء بالصفات الاتية^(١٠):

- ١- انطلاقهم في رحاب الأدب.
- ٢- ابتعادهم عن التعريف الجامع المانع وعن الحصر والتقسيم والتبويب.
- ٣- انهم خالفوا أسلوب المنظرين والمتأثرين بالفلسفة والمنطق اليوناني.
- ٤- ومالوا الى التطبيق والاكتثار من الشواهد.
- ٥- وجانبوا التعقيد والمصطلح العلمي المقيد.

وربما تكون الحقيقة أنهم لم يجانبوا المصطلح العلمي أو التعريف الجامع المانع قصدا وإنما لان المصطلح لم يكن في زمن قد تهيأت له ظروف النضج والتشكل الدقيق لان هذا التشكل يحتاج الى زمن مطرد وحالة من التماثل المتكررة فالمصطلح منظومة فكرية تستنبط من اطراد ظواهر وحالات معينة فهو يتشكل على أساس رصد تفاصيل متكررة تحافظ على نبرة واحدة أثناء تكررها، فالمصطلح يتحرك حركتين الأولى استنباطه من حالة أو ظاهرة ما والثانية انه بعد استنباطه يصير دالا على الظاهرة نفسها التي منها نحت المصطلح^(١١) فالشكل المصطلحي في كل حركة معرفية حضارية هو تيار معرفي صاعد و سائد، صاعد لأنه يستخرج من صميم المفاهيم العلمية التي تدفعها حركة التطور الى أمام، وسائد

لأنه يعود ليكون دالا على الحقل الذي تشكل فيه، ولذلك تتسم الأمم العلمية المتحضرة بامتلاكها منظومة من المصطلحات تؤشر تأشيراً دقيقاً عنوانات علومها ومعارفها، فنخصص المصطلح ودقته يمكن المعرفة من التطور بشكل فعال^(١٢). وهذا التخصص المصطلحي هو الذي جعل المصطلح يحتاج الى عبور زمن ومراحل قبل استقراره على صيغة نهائية اذ يحتاج الى استقرار معناه اللغوي في المعجم ثم اتفاق العلماء على معناه واختلاف دلالاته الجديدة عن دلالاته اللغوية ووجود مناسبة بين مدلوله الجديد ودلالاته اللغوية والاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي، بعد ذلك تأتي مرحلة الشيوخ ثم مرحلة الارتقاء الى درجة المصطلح^(١٣).

وتواصل الباحثة الحديث عن طريقة عمل الرضي وأسلوبه في كتبه البلاغية بلغة فيها الكثير من الصفاء والأدبية قائلة: "يعمل الرضي ذوقه الواعي في تصيد مواقع الجمال الفني ويعرب عن انطباعه في المسائل التي يتعرض لها بعد إنارتها بالآراء والشواهد التي يراها لازمة لإجلاء ملامحها وتقريبها إلى الافهام، واعتاد الرضي ألا يكثر بالأسماء ولا يغالب بالأقوال وإنما يكتفي بالعرض والتعقيب مكثفياً بـ (قال بعضهم) وهو في طرحه للأقوال وتعليلها يميل إلى الإيجاز وحسن التأنى إذ يبدأ بعرض الآية او الحديث المشتمل على المجاز وينظر في لغة المفردات وفصاحتها أولاً ويخلص بعد ذلك إلى التركيب والصورة المجازية ذاكراً أثرها وقيمتها مستعينا بالشواهد الشعرية وآراء المفسرين والمحدثين والبلاغيين^(١٤) وتحت عنوان دراسات الشريف الرضي وتطبيقاته البلاغية تذهب الباحثة إلى التأسيس للمصطلحات التي تعرضت لها في مباحثه فتبدأ من المعاني اللغوية ثم تنتقل إلى المعنى الاصطلاحي بإيجاز بليغ مشيرة إلى آراء العلماء الذين سبقوه في هذا المضمار والى العلماء الذين جاؤوا بعده كما فعلت في مصطلح البيان إذ أشارت إلى آراء الجاحظ الذي منح البيان معناه الاصطلاحي فهو عنده "اسم جامع

لكل شئ كشف عن فناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لان مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شي بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع^(١٥)، أما ابن رشيق فجعله فنا من فنون البلاغة وليس البلاغة ذاتها^(١٦).

وتعدد أهمية الرضي بلاغيا بأنه:

١- أول من خطا نحو التأليف المستقل في كتابيه: تلخيص البيان في مجازات القرآن، والمجازات النبوية.

٢- فصل علم البيان عن علمي البلاغة الآخرين المعاني والبديع، وفصله عن علوم العربية والأدب.

٣- عمل على حصر موضوعات البيان وتحديد مفهومها.

٤- جعل للبيان مدلولاً خاصاً بعد ان كان عاماً عند الجاحظ والرماني ومن تبعهما. وتخلص الباحثة في حوارها للآراء إلى أن الرضي في دراسته التطبيقية لبيان القرآن والحديث كان رائداً هياً لتأصيل المصطلح البياني عندما ذكر اسمه وعين مدلوله وأورد شواهدة فلما جاء عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) من بعده وجد رؤية سليمة وعملاً منظماً في البيان العربي فاعتمدها في بناء نظريته البيانية في كتابه أسرار البلاغة. أما في دلائل الإعجاز فقد جعل الفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان شيئاً واحداً^(١٧).

وعلى هذا المنهج ذاته سارت في الكلام على الحقيقة والمجاز مشيرة إلى أن أقدم من درس المجاز وصنف فيه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩ هـ) في كتابه (مجاز القرآن) لكن بمعناه اللغوي وليس الاصطلاحي بينما يعد الجاحظ أول من استعمل المجاز بمعناه الاصطلاحي المقابل للحقيقة في (البيان والتبيين) و(الحيوان) إذ توصل إلى أن المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له على

سبيل التوسع في اللغة وتستطرد الباحثة في عرض آراء العلماء الذين سبقوا
الرضي مشيرة إلى جهود الجاحظ البلاغية من خلال ذكرها:

١- تعريف الجاحظ للمجاز ساهم في حل مشكلة إنكار المجاز في القرآن
الكريم.

٢- ذكره نظائر لمجازات القرآن في كلام العرب تشكل سنداً في القياس
السماعي الصحيح.

٣- أنه أول من استعمل لفظ الاستعارة بمعنى تسمية الشيء باسم غيره إذا قام
مقامه.

كما تبين الباحثة جهد ابن قتيبة في اكمال مسيرة استاذة الجاحظ وتوسيعه
لكثير من المصطلحات التي ظهرت بعده، ودفاعه الشديد عن قضية وجود المجاز
في القرآن وكذلك تفعل مع الرماني وابن جني لكن بإيجاز شديد، وهي إذ تسوق كل
ذلك فانما تؤسس لجهود الشريف الرضي في هذا الميدان. مبينة انه استهدى بآراء
من سبقه في دراسة المجاز فاستعمله بمعناه الاصطلاحي كونه فنا في التعبير يهدف
الى غايات شتى منها التوكيد والمبالغة وزيادة المعنى والاتساع في اللغة^(١٨).
ولاتفق الباحثة عند قضية مهمة تقتضيها معاني الكلام واحوال المخاطبين حسب
تعبير الرضي هي إشباع الجانب الوجداني في النفس الانسانية من خلال الجماليات
التي يضيفها المجاز على الكلام، فقد كان الله عز وجل قادراً على انزال القرآن
بأوامر وتعليمات ومنظومة قيم عبر لغة اشارية، لكنه وهو العليم الخبير بنفوس
عباده اختار له اروع الاساليب البيانية واجمل الطرق المجازية ليبلغ في القصد مداه
ويصل إلى الهدف الذي من اجله بعث الرسل والانبياء.

وتخلص الباحثة من موضوع المجاز عند الرضي إلى النتائج الآتية:

١- المجاز عند الرضي مصطلح كبير تتطوي تحت لوائه موضوعات علم المعاني
جميعاً....

٢- وقد يتسع احيانا لاشارات وملاحظات تتعلق بعلم البديع وعلم المعاني.
٣- ان مجاز الرضي لم يكن بسعة مجاز ابن قتيبة.
٤- اقترب مجازه بحدوده ومواضعه من مجاز عبد القاهر الجرجاني والمنظرين
من ذوي البيان.....

٥- ان الرضي في دراسته للمجاز لم يكن يعنيه تعريف موضوعاته وذكر أقسامها
بقدر ما يعنيه امر تحليلها وبيان اثرها كشافا لمعناها من خلال مذهب بياني تطبيقي
متكامل وكان من المفيد لو طرحت الباحثة موضوع الحقيقة لان المجاز لا يأتي
الامقترنا بها، وقد اشتهر تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز في المئة الرابعة كما يقول
الشيخ ابن تيمية وظهرت اوانله في المئة الثالثة ولم يكن موجودا في المئة الثانية الا
ان يكون في اواخرها^(١٩) فقد اشار الجاحظ الى المصطلح^(٢٠) وعرفه ابن جنبي
بقوله: الحقيقة ما اخرج في الاستعمال على وضعه في اللغة^(٢١) وكذلك فعل ابن
فارس وتوسع البحث فيها عند الجرجاني اذ قسمها على قسمين الحقيقة في المفرد
والحقيقة في الجملة^(٢٢)

ولعل ابن الاثير كان قد اوجز امر الخلاف بين اهل الحقيقة والمجاز حينما
انكر قول القائلين ان اللغة كلها حقيقة، وقول من ادعى ان اللغة كلها مجاز مؤكدا
ان في اللغة ما هو مستعمل على الحقيقة ومنها ما هو مجاز، وعرف الحقيقة بأنها
اللفظ الدال على موضوعه الاصلي^(٢٣) والمجاز هو ما خالف الحقيقة عند سيبويه)
١٨٠هـ) وقد سماه سعة في الكلام^(٢٤) ويعد الجاحظ المجاز مفخرة العربية وسبب
اتساعها اذ يقول: " وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه وباسبابه اتسعت"^(٢٥)
ويدافع ابن قتيبة عن وجود المجاز في القرآن الكريم في كتابه "تأويل مشكل
القرآن"^(٢٦)

وقد تطور البحث في هذه القضية حتى وصل الى عصر الشيخ ابن تيمية
الذي عملت نظريته على التشدد من اجل تحييد التفريق بين الحقيقة والمجاز ضمن

اصول نظرية قائمة على السياق^(٢٧) وانه طور تفسيراً تزامنياً جديداً للمجاز ما دام المعنى المراد من الكلمة يتضح في المقام الذي تستخدم فيه فما يتبادر الى الذهن اولاً في المقام المناسب هو المعنى المطلوب او الحقيقي للكلمة فابن تيمية يسمح بمفهوم واسع للمعنى يمكن ان يندرج فيه ما يسميه جمهور الاصوليين حقيقة وما يسمونه مجازاً فالمعنى الحقيقي لكلمة بحر هو القدر الكبير من الماء ويستخدم للإشارة مجازاً الى واسع العلم ويرى ابن تيمية ان البحر في اطلاقه يعني الاتساع ويمكن ان يفهم المعنى بحراً او علماً من خلال القرينة المناسبة فالقرينة هي العنصر الاساسي في تحديد المعنى المراد من كل قولة لغوية ولاسيما في المقولات التي تشتمل على مشكلة^(٢٨).

وفيما يخص الاستعارة فقد روى صاحب حلية المحاضرة ان ابا عمرو بن العلاء هو أقدم من ذكرها^(٢٩) وأشار إليها في معاني القرآن ولم يسمها، اما الجاحظ فقد سماها معرفاً بها في قوله "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه"^(٣٠)، وتبعه من جاء بعده من النقاد، اما بعد ذلك فقد انقسم البلاغيون في تأشير سمات الاستعارة المبدعة انقسام النقاد حول عمود الشعر اذ تعصب بعضهم له وخرج اخرون على شروطه، ولعل أهم ما يمكن تأشيريه في ملاحظات الباحثة ما يأتي:

١- اتساع دائرة مصطلح الاستعارة عند الرضي لتشمل انواعاً من المجاز منها ما كانت علاقته المشابهة ومنها ماله علاقات أخرى كالمجاز المرسل والعقلي، وهذا الارتباك في تحديد المصطلح هو امر طبيعي عام لكل المصطلحات في مراحلها الأولى قبل ان يمر عليها الزمن وتتسم بالاستقرار.

٢- ان الاستعارة بمصطلحها الدقيق هي المجاز القائم على علاقة المشابهة بين المستعار منه والمستعار له فقد ميزها الرضي عن غيرها باعطائها وصفاً خاصاً كالاستعارة العجيبة أو محض استعارة كقوله في شرح الآية "وأخض لهما جناح الذل من الرحمة..... الاسراء، ٢٤" مطلقاً عليها استعارة عجيبة المراد منها الاخبات

للولادين وإلانة القول لهما والرفق بهما إذ استعار الطائر للولد على سبيل الاستعارة
المكنية بحذف الطائر وابقاء شئ من لوازمه وهو الجناح.....(٣١)

وتدرك الباحثة أهمية تحريك مشاعر المتلقي بالاستعارات اللطيفة التي يهدف
اسلوب الرضي الادبي في شرحها إلى الافادة والامتع من خلال حاسته البيانية
التي تدرك مناحي الجمال في كل لفظ يسطره النص. ويأتي عبد القاهر الجرجاني
ليقدم نظرة متماسكة في المعالجة الوظيفية للاستعارة كان للجذور البلاغية
للمصطلح الاستعاري مرتكز قوي فيها، فهو لم ينظر الى الاستعارة بوصفها مفهوما
اصطلاحيا يتألف من مستعار ومستعار له مشروطا بعنصر المشابهة واستحضار
القرينة وانما نظر اليها كبناء وظيفي متكامل عالج من خلاله الصورة الفنية
المجسدة في طبيعة العلاقة القائمة على (النقل والادعاء) والمشابهة وتحقيق المبالغة
والايجاز محققا من خلاله التأثير والاثارة في نفس المتلقي(٣٢).

ويأتي موضوع المجاز المرسل الذي هو الكلمة المستعملة قصداً في غير
معناها الاصلي لملاحظة علاقة غير المشابهة مع قرينه دالة على عدم ارادة المعنى
الوضعي(٣٣) ويتسم هذا المجاز ببراء علاقاته وتعددتها مما يوسع مجالات توظيفه
ويغني جمالياته معا وتؤكد الباحثة هنا كذلك ان الرضي لم يصرح باسمه
الاصطلاحى وعده من الاستعارة واحيانا اطلق عليه اسم المجاز مطلقا من غير
تقييد(٣٤) وذلك ما يؤشر عدم استقرار المصطلحات في عصر الشريف الرضي فهو
يقول في شرح قوله تعالى"واصنع الفلك باعيننا ووحينا.....هود،٣٧" وهذه
استعارة(٣٥)، لكن المتأخرين من البلاغيين سموا هذه العلاقة الالية لان العين هي الة
النظر والرعاية.

اما موقف الرضي من المجاز العقلي فانه ذكر شواهد من القرآن الكريم
والحديث الشريف ولكنه كعادته لم يسمه باسمه الاصطلاحى بل اطلق عليه اسم

الاستعارة، لكن الباحثة تؤكد ان الدارس المدقق يستشف من خلال الشرح والتحليل ان الرضي اراد بهذا المجاز لونا غير الاستعارة والمجاز المرسل. وفي موضوع الكناية تعرف الباحثة المصطلح وتبين اقسامه وانواعه وبلاغته وتوضح كيف يواصل الرضي اطلاقه الاستعارة على الكناية وتستشهد لشرحه بقوله تعالى " يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون... القلم، ٤٢ " اذ قال وهذه استعارة والمراد بها الكناية عن هول الامر وشدته.

فالكناية عنده ذات مدلول لغوي بمعنى العدول عن اللفظ إلى غيره بشرط الدلالة عليه لاطهار المعنى بما يليق زيادة في الدلالة وتعظيماً للمخاطب ولكن هذا لا ينفي عرضه للكثير من الشواهد الكنائية ولا سيما القرآنية وتحليلها تحليلاً يدل على انه كان يدرك وظيفتها وقيمتها في التعبير عن المعاني^(٣٦).

والكناية فن قديم عند العرب ومصطلح مذكور منذ ابي العلاء (١٥٤هـ) وذكره الخليل والجاحظ ثم جاء ابن قتيبة فبين انواعها ومواضعها وبين المبرد غايتها ووظائفها واختلفوا في انواعها وتقسيماتها وان اتفق علماء البلاغة على وظيفتها الجمالية في الكلام.....^(٣٧).

وتتعرض الباحثة لموضوع التشبيه وانواعه ووظائفه، واذ تشير الى اهم

وظائفه فانها تخص بالذكر

١- البيان والايضاح.

٢- المدح.

٣- التزيين.

٤- الابداع.

٥- الاستطراف.

٦- التقبيح.

٧- بيان مقدار الصفة المراد اظهارها.

٨- تخصيص مكان وقوعها.

فالإشارة إلى التشبيه في التراث العربي قديمة وتنسب إلى بشار في حديثه عن تشبيهات امرئ القيس^(٣٨) ووقف عنده المبرد مؤكداً أن له حداً إذ تتشابه الأشياء من وجوه وتتباين من وجوه^(٣٩) ويواصل العلماء بحثهم في التشبيه تعريفاً وتقسيماً وبيان وظائف وادوات فهذا الفن من أعرق الفنون في الشعر العربي وأكثرها حضوراً في الشعر الجاهلي.

وفي علم المعاني: تظل الباحثة منضبطة في منهجها إذ تلجأ كعادتها إلى تعريف المصطلح عند البلاغيين وتوضيح أقسامه وحدوده ووظائفه وهي تورد أبواب هذا العلم عند القزويني الذي يصل بها إلى ثمانية هي:

١- أحوال الأسناد الخبري.

٢- أحوال المسند إليه.

٣- أحوال المسند.

٤- أحوال متعلقات الفعل.

٥- القصر.

٦- الإنشاء.

٧- الفصل والوصل.

٨- الإيجاز والأطناب، لكنها تنتقي باباً واحداً من هذه الأبواب للوقوف عليه عند الشريف الرضي وهو موضوع الإيجاز والأطناب. إذ وقفت على تعريف المصطلحين وبيان أهمية كل مصطلح على حدة كما أوضحت آراء الباحثين القدماء فيهما كالرمانى والرازي وابن الأثير والعسكري والجرجاني وابن أبي الأصبع، فعلم المعاني هو أصول وقواعد تعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال بحيث يكون على وفق الغرض الذي سيق له وموضوع هذا العلم هو الكلام العربي من

حيث افادته المعاني الثواني التي هي الاغراض المقصودة للمتكلم من جعل
الكلام مشتملا على اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى
الحال. (٤٠)

فالايجاز هو الاختصار بلا خلل والاطناب هو الاسهاب مراعاة لمقتضى الحال
وقد اختلف العلماء في مواقفهم من هذين المصطلحين فمنهم من فضل الايجاز كونه
سمة كلام العرب وعلامة بلاغتهم ومنهم من وازن بين المصطلحين لان مقتضى
الحال هو الذي يقرر توظيف احدهما دون الاخر مراعاة لاحوال المتلقي.

وفي موضوع علم البديع تواصل منهجها في التعريف بالمصطلح وتكتفي
بتعريف القزويني له كونه "علما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه
على مقتضى الحال ووضوح الدلالة....." (٤١) ويقسم هذا العلم على قسمين:
محسنات لفظية، ومحسنات معنوية: وتشير الباحثة كذلك الى عدم استقرار
المصطلحات التي انضوت تحت راية هذا العلم لدى الشريف الرضي اذ تعرض
لبعض الفنون التي عدها المتأخرون من البديع لكنها عنده من انواع المجاز وهو
مما يدخل في علم البيان متفقا في هذا المذهب مع المتقدمين ومن هذه المصطلحات
التي عدها مجازا او استعارة المشاكلة وتعرض لذلك اكثر من شاهد قرآني استشهد
به الرضي وكذلك فعلت مع المبالغة التي ادخلها الرضي في باب المجاز
والاستعارة تعليقا على الاية الكريمة "يكاد زيتها يضيء...النور، ٣٥" وتواصل في
موضوع الالتفات منهجها فتعرف المصطلح وتذكر استنثار العرب من هذا
الاسلوب واسباب استحسانهم له، وتؤكد الباحثة ان اقوال الرضي في الالتفات
تضمنت اشارات الى دلالاته وشواهد له لكنه لم يسم المصطلح كعادته بل المح اليه في
سورة الفاتحة اذ ينتقل الاسلوب من الغيبة الى الخطاب، وفي سورة يونس من
الخطاب الى الغيبة، مؤكداً اهميته في القدرة على التصرف في اقطار الكلام ويعده
شجاعة في البلاغة ليأتي ابن الاثير بعده ويعده شجاعة العربية (٤٢).

فالالتفات فن مهم في الادب العربي قديماً وحديثاً وله حضور في القرآن الكريم لما يحقق في النص من غايات لعل في مقدمتها تلوين الخطاب واثارة المتلقي وقد ورد ذكره عند الاصمعي وابن المعتز وقدامة والعسكري وابن رشيق. وتشير الباحثة في محورها الاخير الى الموقف النقدي للرضي ازاء قضايا البلاغة ومسائله متعرضة لاشارته الى الفصاحة والى الالفاظ وهي في سياق النظم وتورد احتمال كونه احد مصادر الجرجاني في دراسته للنظم من ان الفضيلة لاتكون للالفاظ من حيث هي مفردات بل من خلال تركيبها ونظمها في جمل وعبارات متناسبة مع بعضها، وهو يصف المفردة بالفصاحة، ويصف التركيب بالبلاغة.

(٤)

تورد الباحثة الوانا من المجازات التي وقف عندها الرضي مستشهدة بشرحه للايات الكريمة "ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات... البقرة، ٢٩" اذ يبين المجاز في الفعل (استوى) وتورد الاية الكريمة " ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون... البقرة، ١٠٢" وكيف يعين الاستعارة في الفعل (شروا) وهكذا.... اذ يميز الرضي بين الحقيقة والمجاز شرطاً ويبين سبب الآيتين بالمجاز مؤكدا ان المجاز يفضل الحقيقة في مواضع كثيرة وانه ابعد في البلاغة مترعاً وابهراً في التعبير مطلعاً مستشهداً بالاية الكريمة "ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيوناً فالنتقى الماء على امر قد قدر... القمر ١١-١٢" يقول الرضي: وهذا من افصح الكلام ووقع العبارات على هذه الحال.^(٤٣) لكن لا الشريف الرضي ولا الباحثة يعلنان لماذا كان هذا الكلام من اوقع العبارات وافصح الكلام، وكيف يكون للسماء ابواب، وكيف تفتح السماء بماء منهمر كناية عن المطر المتدفق الة للعذاب وكيف تتفجر الارض عيوناً ليلتقي الماء ان متأزرين تحقيقاً لامر الله سبحانه....

وتلجأ الباحثة الى التكرار احيانا تأكيدا للدلالات المهمة التي تبغي اظهارها في شرح سمات العمل المدروس كما فعلت في شرح غايات المجاز واسباب تفوقه على الحقيقة، ويتسم عمل الباحثة بذكاء الالتقاط والقدرة على تأشير الملاحظ المهمة في عمل الشريف الرضي كقولها: "و لكن العدول الى المجاز كثيرا ما يكون بسبب اخر غير البلاغة ويذكره الرضي فيقول: "والواحد منا في الاكثر انما يستعير اغلاق الكلام ويعدل عن الحقائق الى المجازات لان طرق القول ربما ضاق بعضها عليه، وربما استعصى بعضها على فكره فعدل الى المطاوعة...^(٤٤)" وتلجأ الباحثة الى الموازنة بين مافعله الرضي ازاء استعارات القرآن وبين عمل الرماني مقرر ان الاخير لم يبلغ ما بلغه الرضي من الافاضة والعمق في التحليل والاكثر من الشواهد، ثم تأتي بنموذج من تحليل الرماني تحقيقا للمقارنة^(٤٥).

وتورد الباحثة امثلة على شرح الرضي للمجاز العقلي من الايات والاحاديث، والمجاز العقلي هو "اسناد الفعل او ما في معناه من اسم فاعل او مصدر الى غير ما هو له في الظاهر من المتكلم لعلاقة مع قرينة تمنع من ان يكون الاسناد إلى ما هو له"^(٤٦).

وفي موضوع التشبيه تنتقي الباحثة نمودجا من شواهد الرضي على التشبيه المحذوف الاداة في قوله تعالى "الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء...البقرة، ٢٢" اذ عد تشبيه الارض بالفراش استعارة والباحثة هنا لاتصرح بالتباس الرضي لكنها ترد عليه بتأكيد التشبيه وشرح اركانه^(٤٧) وتلتقط لايجاز القصر قوله تعالى "ولكم في القصاص حياة...الواقعة، ٢"

ولا تأتي بشاهد اخر غير هذه الاية وذلك على غير عاداتها في تنويع الشواهد وفي ذكر تعقيب الرضي عليها وشرحه لمواطن الشاهد فيها - لكنها تعود لتقدم اراء الرضي في هذين الاسلوبين وتطرح شواهد كثيرة له في ايجاز الحذف وتعرض رأيه في ان ايجاز الحذف استعارة في قوله تعالى " هم درجات عند ربهم...ال

عمران، ١٦٣" لان الانسان برأيه غير الدرجة والمراد بذلك: هم ذوو درجات متفاوتة، ومن مجاز الحذف حذف جواب لو في الآية الكريمة "قال لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد....هود، ٨٠" والمعنى حسب الرضي لو انني على هذه الصفة لحتل بينكم وبين ماهتمم به من الفساد، والحذف ابلغ لانه يوهم المتوعد بعظيم الجزاء وبغليظ النكال ويصرف وهمه الى ضروب العقاب^(٤٨).

لكن لا الشريف ولا علماء عصره او من سبقوه عللوا لماذا كان الايجاز سمة اللغة العربية ولماذا كانت السجية العربية تفضل الايجاز واللقطة الايحائية حين يغني الملح عن التفصيل وهذا ماثلمه في امثلتهم وخطبهم وفي جعلهم البيت وحدة قائمة بنفسها فقد جاء ان الايجاز طبع في الشعوب السامية التي تتصف لغاتها بأنها لغات إجمالية تعتمد على التركيز والاقتصاد وعلى الجوهر والتعبير بالكلمة الجامعة والاكتفاء باللمحة الدالة، وقد عزا بعضهم ذلك الى طبيعة البيئة الصحراوية التي عاشوا فيها والتي كثيراً ما دفعتهم الى الترحال طلباً للماء مما دفعهم ان يقصدوا اقصر الطرق للوصول الى غايتهم فانعكس ذلك في كلامهم وصاروا يبحثون عن اوجز الالفاظ تعبيراً عن اهدافهم^(٤٩).

واذ تتحول الى موضوع الاطناب تاخذ من شواهد في الإطناب القرآني آيتين اثنتين "فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور....الحج، ٤٦" مؤكدة بعد عرض كلام الرضي ان الاطناب هنا افاد التوضيح وازالة اللبس الحاصل من اشتراك المعاني.

وللاطناب انواع ووظائف في مقدمتها الايضاح بعد الابهام وهو ان يذكر المعنى مجملاً مبهماً ثم يعاد ذكره مفصلاً موضحاً، كقوله تعالى (فوسوس له الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى....طه، ١٢٨) فالوسوسة مبهمة مجملة فصلت بالجملة بعدها: قال يا ادم...فغدت واضحة مبينة.

وذكر العام بعد الخاص كقوله " رب اغفر لي ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات....نوح، ٢٨" فالمؤمنون والمؤمنات هو العام.
والايغال وهو ختم النص بما يفيد نكتة يتم الكلام بدونها منها الزيادة والمبالغة كقول
الخنساء*:-

وان صخرًا لتأتّم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
ففي رأسه نار زيادة يتم المعنى بدونها لكنها تحقق المبالغة في اداء المعنى، أما
الاحتراس من ارادة معنى غير مقصود فكقوله تعالى "اسلك يدك في جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء....القصص، ٣٢" فمن غير سوء احتراس من ارادة
المرض^(٥٠).

وتلخص الباحثة طرق الاطناب كما اوردها الرضي ودواعيه التي منها:

١- التكرير.

٢- اقامة الظاهر مقام المضمّر، وتلتقط من شواهد التقاطة رائعة في قوله "
ويحذركم الله نفسه....ال عمران، ٢٨" في موضعين متقاربين من هذه السورة(٢٨ و
٣٠) موضحا "ان ذلك ليس بتكرار لان الذي عناه بالآية الاولى غير الذي عناه
بالآية الاخرى" لان الاولى انما حذرهم فيها من عقابه على موالاته الكفار والثانية
انما حذرهم فيها من موافقة سائر المعاصي فحق اعادة التحذير^(٥١).

وتؤشر الباحثة قصد الرضي بانه لم يكن يريد من اعادة الاية التكرار كما يبدو
من ظاهر اللفظ وانما هو معنى ثان اراده تعالى مخالف للمعنى الاول وبذلك تكون
وظيفة التكرار هنا هي التحذير من موالاته الكفار ومواقعة المعاصي مؤكدة ان هذا
من سنن اساليب العرب مستشهادة للفراء بما يؤكد ذلك.

والتكرار موجود في كلام العرب قديما وذكره اهل النحو والبلاغة ومنهم
الفراء وابو عبيدة واطلق عليه الجاحظ الترداد^(٥٢) واطلق عليه الشريف الرضي
التكرير....

وتلتقط الباحثة من فوائد التكرير فائدة اخرى هي التفخيم وتأتي بتعليقه على الآية الكريمة: والله مافي السماوات والارض والى الله ترجع الامور.....ال عمران، ١٠٩ " شارحا اهمية تكرير اسم الجلالة تفخيما له سبحانه وتعظيما.... كما التقطت من تعليقات الرضي فائدة اخرى للتكرير اخذها من شيخه ابن جني وهي الذم والمبالغة فيه في قوله تعالى " فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون....البقرة، ٥٩" اذ يشير الثلاثة (ابن جني والرضي والباحثة) الى ان تكرار جملة الذين ظلموا اشد مبالغة في ذمهم. وتشير الباحثة الى قضية مهمة هي " ان اسلوب التكرير يفيد معنى التفخيم والتأكيد والمبالغة والتفخيش والتخويف في مواضع التحذير من العقاب"^(٥٣) واود الاشارة هنا الى ان هذه الوظائف التي ذكرها الشريف الرضي للتكرار لم تستطع كل مباحث النقد الحديث ان تزيد عليها لكن احدا منا او منهم لم يعد بالوظائف الدلالية لمصطلح التكرار الى اصولها التي ذكرها هذا الباحث العربي الجليل قديما.

وتلتقط الباحثة من روائع تعليقات الرضي التقاطة ذكية اخرى هي ان زيادة الواو وغيرها من الحروف في القرآن الكريم محمولة على زيادة المعاني والاعراض لان للاطناب فوائد يقتضيها الحال ويتطلبها المعنى. لذا فالاطناب مطلوب في مقامه كما ان الايجاز مطلوب في موضعه^(٥٤) وهذا الكلام من احداث محاور النقد الحديث ذلك ان اية زيادة في المبنى تؤدي هدفا في المعنى وقصدا في الدلالات.

(٥)

اتسم العمل في هذا الكتاب بالضبط المنهجي والتسلسل العلمي المترابط لكن تسأولا يرد في هذا الميدان لماذا تأخر موضوع التشبيه في دراسة البيان الى النهاية في حين كان حقه التقديم على الاستعارة لانه الاصل فيها، وقد دقت في موضوعي

الاستعارة الذي جاء في بداية محاور البيان والتشبيه الذي ورد في نهاية المحاور باحثة عن تعليل هذا التأخير فلم اجد له سببا موضوعيا يبرره، كما ان كتب البلاغة اعتادت ادراج موضوع الكناية بعد الاستعارة مباشرة لكن الباحثة هنا اتت بالكناية بعد محوري المجاز المرسل والمجاز العقلي، اما المحاور الاخرى فقد انسابت بمنطق علمي متماسك.

- اتسمت هوامش الباحثة بالدقة والانضباط، كما اتسمت اقتباساتها بالانسجام مع الموضوع الأصلي فلا خروج فيها ولا نشوز فضلا عن كونها اقتباسات تميزت بالتوازن فهي متناغمة مع الحاجة التي استدعتها إذ نجد الاقتباس يرد جملة واحدة احيانا وقد يمتد إلى اسطر عديدة حينما يتطلب الامر عرض شرح من شروح الشريف الرضي لتبيين مزاياه وايجاباته، كما يجد المتأمل في مصادرها رصانة وقيمة علمية كبيرة إذ انها كانت ترجع إلى الاصول دوما، مع قدرة واضحة على الربط والموازنة والتعليل...

- تباينت الشواهد التي اتت بها الباحثة من ناحية الكم والتنوع فقد تأتي مرة بعرض واف للشواهد كما فعلت في موضوع الاستعارة، وقد تختصر اختصاراً شديداً فلا تأتي إلا بشاهد واحد على موضوع مهم كايجاز القصر مثلا، وربما كان السبب في ذلك هو شرط الحجم الذي تقيد به الكتب المطبوعة في هذه الموسوعة.

- اتسمت الباحثة بذكاء عملي دقيق في النقاط المعلومة والاقتباس والشواهد، وقد كانت حريصة على جمالية اللغة التي عرضت بها موضوعها، وكان اسلوبها على طول صفحات البحث سليم اللغة، رصين التركيب، رشيق الصياغة، ولذلك ظلت عبارتها موجزة، صافية، موحية فهي تلتقط من ابن الاثير مثلاً معلومة مهمة عن ايجاز القصر الذي يعني تقليل الألفاظ وتكثير المعاني إذ يقول: ان التنبيه لهذا النوع عسر لانه يحتاج إلى فضل تأمل^(٥٥) وقد اكدت مباحث النقد الحديث هذه

الحقيقة فالإيجاز هو هدف النصوص الأدبية الرفيعة وهو سمة مهمة من سمات أدبيتها وشعريتها.

- امتاكت الباحثة القدرة على توسيع افق بحثها من خلال تمكنها من فتح حوار بين آراء العلماء داخل المحور الواحد كما فعلت في موضوع (الحقيقة والمجاز....) إذ تعرضت لقضية المجاز في القرآن الكريم وطرحت آراء العلماء ومواقفهم من هذه القضية، موازنة بين آراء ابي عبيدة معمر بن المثنى والجاحظ وابن قتيبة والرماني وابن جني كاشفة عن أهداف المجاز ووظائفه والمهمات البلاغية التي يؤديها لكن باختصار شديد.

- اشارت الباحثة أكثر من مرة إلى الأهمية التي اولها الرضي في شروحه وتعليقاته لعملية التلقي وذلك دليل النقاطها لأهمية هذا المحور المهم في نقدنا العربي القديم، والذي صار له نظريات مهمة في النقد الحديث اطلق عليها نظريات القراءة وجماليات التلقي أو الاستقبال وقامت هذه النظريات على اسس فلسفية متباينة مؤكدة تحقق النص بين يدي قارئه الجاد، مثيرة لقضية دور القارئ في الاسهام بتشكيل المعنى.

- اتسمت الباحثة بالقدرة على التوصيف الموضوعي والتعليل واصدار الاحكام القائمة على اسس حوارية دون تعصب لطرف أو مسألة على أخرى إلا ما يمليه الجانب العلمي والاستنتاجات القائمة عليه. تقول بعد ان تستعرض أهمية المجاز عند ابن قتيبة والجاحظ: وأياً كانت دوافع الدرس البلاغي فان الرضي امتلك ناصيته بألة البيان التي مكنته منها مواهبه الاصلية وثقافته الواسعة فتقدم بخطى ثابتة ورؤية سديدة نحو الآثار البليغة يسبر غورها ويستشف اسرار جمالها، ثم يعرضها بصور ملونة بألوان اسلوبه الرائق المخالف لاساليب من اخذ عنهم (.....) وهو ان اتكأ على تراث السابقين من ارباب البيان ورجال الاعجاز فلان مصدري دراسته القرآن والحديث، وهذان لا يسمحان بالحرية المطلقة في التحليل

وابدأ الرأي والاستقلال به، ولكنه مع ذلك اتى بالجديد الشيق في شرح مجازات القرآن والحديث، وثبت ما رآه واقتنع به من آراء الدارسين بثقة عالية^(٥٦). في مثل هذا النص وغيره مما ورد في صفحات الكتاب نجد اسلوب الباحثة الجلييلة الدكتورة مناهل فليح هادئاً، رصيناً، واضح الدلالة، بالغ الهدف موصفاً ومعللاً وصانعاً لحكم نقدي وقرار واثق لانه قرار قائم على الدليل والبرهان..

- في البحث اشارات وقضايا مهمة ارتكز عليها النقد الحديث وطورها كموضوع التكرار ووظائفه وموضوع القراءة والتلقي وأهمية الايجاز والتركيز في النص الادبي، واثر المبنى على المعنى زيادة ونقصاناً لو عمل البحث على ربطها بالمصادر الحديثة لاستكمل شروط التواصل بين القديم والحديث ولكن باحتتتا الجلييلة وقفت عند الحدود التي رسمتها لبحثها، ملتزمة بمنهجها العلمي الدقيق ولذلك أصابت هدفاً مهماً رسمته، ولو تعدته إلى المصادر والمنهجيات الحديثة التي كثيراً ما نهلت من تراثنا النقدي القديم لأصابته هدفاً مهماً آخر لكنها نجحت في إظهار شخصية الشريف الرضي بلاغياً والإفصاح عن سمو ذوقه في دقة اختياراته وإبداع إشاراته وشروحه التي تناولت معاني الآيات وما فيها من بلاغة، وعن سبقه في تأشير مصطلحات بلاغية مهمة لم ينتبه إليها الباحث المعاصر له.

الهوامش:-

- ١- الارشيف الشخصي للباحثة محفوظة لدى ابنتها الدكتورة منية نبيل قنديل.
- ٢- الشريف الرضي، ٥-٦.
- ٣- م. ن، ٧-٩.
- ٤- م. ن، ١١-١٢.
- ٥- المجازات النبوية، ٩، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة. د.ت.
- ٦- الشريف الرضي، ١٢.
- ٧- وفيات الاعيان، ٤/٤١٦ تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، لبنان، د.ت.
- ٨- الشريف الرضي، ١٥.

- ٩- م. ن، ١٧-١٨.
- ١٠- م. ن،
- ١١- المصطلح النقدي والبلاغي في كتاب الطراز، الاء طارق، المقدمة، اطروحة دكتوراه، الاداب ٢٠٠٢.
- ١٢- المصطلح ونقد النقد العربي الحديث، احمد بو حسن، ٦، مجلة الفكر العربي المعاصر ٦٠-٦١/١٩٨٩.
- ١٣- معجم النقد العربي القديم، احمد مطلوب، ١٠-١١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩ ومصطلح التخيل في نظرية النقد الادبي عند السجلماسي، ٢٨٦، د. علال الغازي، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ٤/٨٨.
- ١٤- الشريف الرضي، ٢٤-٢٦.
- ١٥- البيان والتبيين، ٧٦/١، تحقيق عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، ط٣.
- ١٦- العمدة ١/٢٥٤، القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢.
- ١٧- الشريف الرضي، ٣٥.
- ١٨- = = ٤٥.
- ١٩- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: الحقيقة، احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٨.
- ٢٠- الحيوان، ٥/٢٥، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٣، ١٩٦٩.
- ٢١- الخصائص، ٤٤٢/٢، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٥٢.
- ٢٢- اسرار البلاغة، ٣٢٤، شرح احمد محمد المراغي، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٩٤٨.
- ٢٣- المثل السائر، ١٠٥، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ط١، ١٩٦٢.
- ٢٤- الكتاب، ١/٥٣، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦.

- ٢٥- الحيوان، ٤٢٦/٥.
- ٢٦- تأويل مشكل القرآن، ١٢٣، شرح احمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٨١
- ٢٧- عودة الى مذهب السلف في الحقيقة والمجاز، منشور على موقع ملتقى اهل الحديث على الانترنت: www.ahlalhadeth.com
- ٢٨- م.ن.
- ٢٩- ابو علي الحاتمي، ٣٣/١، تحقيق د.جعفر الكناني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩
- ٣٠- البيان والتبيين، ١٥٣/١
- ٣١- الشريف الرضي، ٥٤، وينظر تلخيص البيان في مجازات القرآن، ٢٠٠، تحقيق محمد عبد الغني حسن، القاهرة، ١٩٥٥.
- ٣٢- المصطلح النقدي والبلاغي (اطروحة)، ١٢٣.
- ٣٣- جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، ٢٩٢، المكتبة التجارية الكبرى، ط٢، مصر، ١٩٦٠.
- ٣٤- الشريف الرضي، ٦٣-٦٤.
- ٣٥- م.ن، ٦٢
- ٣٦- الكناية في القرآن، د.احمد فتحي رمضان، ١٨، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب/جامعة الموصل، ١٩٩٥.
- ٣٧- ينظر: تأويل مشكل القرآن، ٢٥٦، والكامل ٢/٢٩٠، علق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ٣٨- الاغانى، ابو الفرج الاصفهاني ٣/١٩٦، نسخة مصورة، بيروت، د.ت.
- ٣٩- الكامل، ٥٢/٣.
- ٤٠- جواهر البلاغة، ٤٦.
- ٤١- الشريف الرضي، ١٠٤، وينظر: الايضاح في علوم البلاغة للقزويني، ١٩٢، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، د.ت.
- ٤٢- الشريف الرضي، ١١٣.

- ٤٣- تلخيص البيان في مجازات القرآن، ٣١٨، تحقيق محمد عبد الغني حسن،
القاهرة، ١٩٥٥.
- ٤٤- م. ن، ٣٢٦.
- ٤٥- الشريف الرضي، ٦٠.
- ٤٦- جواهر البلاغة، ٢٩٦.
- ٤٧- الشريف الرضي، ٨٤-٨٥.
- ٤٨- تلخيص البيان، ١٦٣.
- ٤٩- الإيجاز في البلاغة العربية، بحث منشور على موقع موجات على
الانترنت: www.mogat.com.
- * - ديوان الخنساء، ٥١، دار الأندلس، بيروت، ط٥، ١٩٦٨.
- ٥٠- م. ن.
- ٥١- الشريف الرضي، ٩٧، وينظر حقائق التأويل في متشابه التنزيل، الشريف الرضي،
٨٢-٨٣، شرح محمد رضا آل كاشف الغطاء، النجف، ١٩٣٦.
- ٥٢- البيان والتبيين، ١/١٠٥.
- ٥٣- الشريف الرضي، ١٠١.
- ٥٤- م. ن، ١٠٣.
- ٥٥- الشريف الرضي، ٩٠، وينظر: المثل السائر ٢/٧٨.
- ٥٦- الشريف الرضي، ٢٢-٢٣.